## المقدمة

لكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الثقافات وتحاول كل ثقافة تطبيع أفرادها بطابعها. وعلى الرغم من وجود التشابه بين أفراد الثقافة الواحدة بحكم النشأة المشتركة فيها. فإننا نجد الاختلاف بين الأفراد في نفس الثقافة الواحدة كالاختلافات بين أهل الريف والحضر، والاختلافات بين مصر والسعودية مثلا. والثقافة تشمل مجموعة من العناصر التي تمارس تأثيرها بوضوح على سلوك الإنسان وتحكم تصرفاته. وهذه العناصر تتخلل معظم صور السلوك الإنساني المتمثلة في العادات الاجتماعية وعادات النظافة والتربية والمفاهيم والقيم والأعراف. والعلاقة بين الثقافة والمجتمع علاقة تلازم بحيث إذا وجد الأول لزم وجود الآخر "فإذا نظرنا إلى المجتمع على أنه يمثل مجموعة من الأفراد فإن الثقافة تمثل طريقتهم في المعيشة" [1]. ومن ثم تختلف الثقافة باختلاف المجتمع. والثقافة تمثل نوعا من أنواع الضبط الاجتماعي الذي يمارس سطوته ونفوذه على الأفراد. لأن سلوك الأفراد ما هو إلا تعبير عن تيارات ثقافية تأصلت في نفوسهم عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تلقوها من خلال الحياة الأسرية وساروا عليها. والأفراد في كل هذه الأمور يخضعون لثقافة مجتمعهم من أفكار ومعايير سلوكية وقيم اجتماعية. ولا يستطيعون أن يشذوا عنها وإلا نبذهم المجتمع [2].

بناء على ما سبق هنالك من يُعتقد انه من الممكن. بواسطة تحليل الثقافة السياسة ودراستها. فهم التصورات والتوجهات والدوافع السياسية في كل مجتمع عل المستويين الرسمي والشعبي. وانعكاساتها على مستوى الواقع السياسي وتأثيراتها على السلوك السياسي. وعلى تحديد الوظائف السياسية للإفراد والجماعات والمؤسسات. وعلى فهم العلاقات بينهم والتوقعات المتبادلة لكل طرف من الآخرين [3]، ولكن يشير الرأي نفسه إلى أن هذه النظرية التي تجعل كل ذلك منوطاً بالثقافة السياسية السائدة هي نظرية سطحية للغاية. لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار أيضاً أن الثقافة السياسية ليست معطىً ثابتاً بل هي متغيرة ومتشكلة. كذلك فأنها قد تكون نتاج النظام السياسي القائم الديمقراطي أو الديكتاتوري وليست سببه. فكل نظام سياسي يساهم في انتاج الثقافة السياسية التي تحافظ عليه . فالثقافة السياسية. إذن. تؤثر في النظام السياسي السائد كما تتأثر به. وعلاقتهما تبادلية وليست أحادية الاتجاه [4].

---

[1] د. السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002, ص 47.

[2] المصدر نفسه, ص 47- 48.

[3] د. نبيل صالح، الثقافة السياسية، رام الله، فلسطين، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 1997, ص 8.

[4] المصدر نفسه, ص 9.

ولأجل دراسة الثقافة العامة السياسية، وتأثيرها في السلوك الاجتماعي والسياسي، والنظام السياسي، وبالمقابل دراسة العوامل المؤثرة فيها، وأسباب الاختلافات في الاتجاهات والسلوكيات السياسية، تحاول دراستنا أن تعرف ما هي الثقافة العامة السياسية؟، وما هي القيم الاجتماعية السياسية؟، وما هي الممارسات والتجارب الاجتماعية السياسية؟، وما هي التوجهات والسلوكيات السياسية؟ (مفاهيمي conceptualizations)، وما هي جذور، وأهمية الثقافة العامة السياسية، وكيفية اكتسابها؟ ( وصفي Descriptions)؛ وكيف تؤثر بعض العوامل والمتغيرات في الثقافة العامة السياسية، والقيم والممارسات والتجارب الاجتماعية السياسية؟ (مفاهيمي conceptualizations) ، وما هو أصل الاختلافات في التوجهات والسلوكيات السياسية؟؛ ومتى، وكيف، ونتيجة ماذا يقوم الأفراد باكتساب الثقافة العامة السياسية وبالتالي التوجهات والسلوكيات السياسية؟، وكيف يكتسب الناس الأفراد العواطف والمشاعر والمعرفة حول نظامهم السياسي؟، وأخيرا ما هي التأثيرات المتبادلة بين التنشئة الاجتماعية السياسية والثقافة العامة السياسية؟ (توضيحي وتحليلي explanations). هذه الدراسة ستعرض نتائج تحليل ومساهمة مفاهيمية وعملياتية للثقافة العامة السياسية والتوجهات والسلوكيات السياسية [1].

المشكلة التي تحاول أن تعالجها هذه الدراسة هي البحث عن أسباب أو أصل الإختلاف في الثقافات السياسية، وبالنتيجة في التوجهات والسلوكيات السياسية. فضلاً عن ما تقدم، تحاول دراستنا مثلا أن تعرف لماذا بعض المجتمعات هي أكثر استقرارا اجتماعيا وسياسيا من غيرها؟ وتحاول الدراسة أيضا أن تجد تعليلا لسبب لجوء مجموعة كبيرة من الأفراد والجماعات والدول التي تعلمت حول الثقافات السياسية الديمقراطية وقامت بتدريسها أو الدعاية حولها، ولكن لا يمكنها من تطبيقها في تعاملها اليومي مع بعضها ومع الآخرين، وذلك على العكس مما يقوم به الأستاذ في الاختصاصات العلمية الصرفة باختبار ما درسه لطلابه في الصف داخل المختبر لإثبات ما قام بتدريسه!؟ بمعنى آخر فأن المشكلة التي تحاول أن تعالجها هذه الدراسة هي: إذا كانت دراسة العلوم السياسية لوحدها لا تعيننا في تفسير التوجهات والسلوكيات السياسية بما فيه سلوك طلابها وأساتذتها فهل يمكن أن تعيننا الدراسات النفسية والاجتماعية أيضا على ذلك؟

---

[1] The main Idea derived from: Henk Dekker, Democratic Citizen Competence: Political-Psychological and Political Socialization Research Perspectives, in: Russell F. Farnen, Henk Dekker, Rudiger Meyenberg, and Daniel B. German, Democracy, Socialization And Conflicting Loyalties in East and West: Cross-National And Comparative Perspectives, Great Britain, Macmillan Press Ltd., 1996, p.386.



Open Knowledge

السؤال الرئيسي الذي يوجه هذه الدراسة، هو: ما هي المحددات الأساسية للتوجهات والسلوكيات السياسية؟ أو/و ما هي الأبعاد السياسية للقيم والممارسات الاجتماعية والثقافة العامة؟

تكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة في تقديم دراسة وصفية، وتوضيحية، وتطوير نظري [1]. فالدراسة تقوم بتقديم مدخل نظري لدراسة وتحليل الثقافة السياسية وبالتالي تأثيراتها في التوجهات والسلوكيات السياسية انطلاقا من رؤية حياتية أو جسمية، ونفسية، واقتصادية، واجتماعية، وتأثير البيئة الخارجية، وليس انطلاقا من تفسيرات أحادية الجانب كأن تكون سياسية بحتة فقط. أو الاستناد إلى عوامل داخلية فقط كما جرت العادة في العديد من الدراسات.

إن الأهمية الأساسية لهذه الدراسة تكمن في محاولتها أثبات أن جذور السلوك السياسي ذات أصل نفسي واجتماعي قبل أن يكون ذات أصل سياسي؛ وان الأخير ما هو إلا نتيجة تأثير عوامل اجتماعية ومختلفة، وأن التوجهات والسلوكيات السياسية هي في الأصل تدريب وممارسة منذ الطفولة على ثقافة معينة وليس بالضرورة من التعلم فقط في المدارس والكليات من قبل طلاب العلوم السياسية وغيرهم كما في دراسة ثقافة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها أو من خلال تدريس الأخيرة من قبل أساتذة العلوم السياسية وغيرهم.

فضلا عن هذه الدراسة تقوم بجمع وإبراز وتحليل معظم أدبيات الثقافة العامة السياسية والمواضيع ذات الصلة مما قد يسهل مهمة الطلاب والباحثين في هذا المجال، وسعيها لأن تضيف إلى المكتبة العربية والعراقية والأجنبية مصدراً جديداً في موضوع قلة الكتابة فيه على الأقل بهذا القدر من التفصيل والتركيز والجمع والمنهجية.

فضلا عن كل ما تقدم، فأن الدراسة تأمل في أنها تتميز أو تنفرد في تقديم دارسة جديدة لفهم أسس الثقافة العامة السياسية، وقد عرضت الدراسة بالتفصيل والوضوح، من خلال هيكلية دراسية واضحة وعرضها المفصل لمعظم الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع ومن خلال استنادها في التحليل إلى دراسات نفسية واجتماعية، يمكن أن تسهل لطلاب العلوم السياسية تطبيقها في كل المجتمعات في موضوع له أهمية كبيرة في تحقيق الثقافة العامة السياسية السوية والإيجابية وبالتالي تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي الضروريين لتكيف وبقاء الأنظمة الاجتماعية والسياسية. باختصار فأن دراستنا تعرض نتائج تحليلية

[1] Henk Dekker, Workshop Excellent University Project, Leiden University, Faculty of Social and Behavioral Sciences, Political science department, Comenius University, Bratislava, 19 January, 2008.

ومفاهيمية وعملياتية جديدة في الثقافة العامة السياسية وتأثيراتها في التوجهات والسلوكيات السياسية.

أما الأهمية المجتمعية لهذه الدراسة فأنها تكمن في أن إرجاع التوجهات والسلوكيات السياسية إلى أسباب معينة يمكن أن يساعد على التنبؤ به. كما يمكن معالجة السلوك السلبي عن طريق إزالة مسبباته. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في سعيها لدراسة موضوع له أهمية كبيرة بحكم تأثيره في استمرارية النظم السياسية باعتبار أن الثقافة العامة السياسية تسهم في انتاج توجهات وسلوكيات سياسية معينة. فضلا عن ما تقدم، نأمل أن تكون هذه الدراسة كمنهج مقرر لطلاب في المراحل المختلفة ومرشد للمؤسسات التعليمية من أجل المساعدة في ثقافة عامة سياسية يؤمل منها أن تقود إلى استقرار اجتماعي سياسي أكبر، وفرص أكبر في البقاء والاستمرارية للنظم الاجتماعية السياسية والتعايش السلمي بين المجتمعات السياسية الإقليمية والدولية.

أما النظرية/النظريات التي اعتمدت لتوجيه هذه الدراسة، فهي مزيج من بعض النظريات والمناهج كنظرية التنشئة الاجتماعية السياسية، ومنهج الثقافة والشخصية والمنهج الوظيفي والمقارن، فضلا عن ملاحظاتنا الميدانية لمجتمعات ذات ثقافات مختلفة من أجل مساعدتنا في الإجابة على الأسئلة التي طرحناها، ونكون قادرين على الدفاع عن نتائج بحثنا وهي تجيب على هذه الأسئلة، وإعطاء توضيحات عن أسباب توجهات وسلوكيات الأفراد والجماعات، والتحري عن دقة التوقعات التي تنبثق منطقيا من هذه النظرية. بعد ذلك ستساهم نتائجنا في فهمنا عن أسباب توجهات وسلوكيات الناس بهذه الطريقة التي يفعلوها، وتزودنا بمجموعة من الأسباب عن ارتباط الحقائق في طرق معينة، وجعل الحقائق مفيدة من خلال تزويدنا بإطار لشرحها وبيان علاقاتها ببعضها الآخر [1].

فعلى سبيل المثال، يُعدّ منهج الثقافة السياسية مفيداً لان إرشاداته عريضة جدا وفقط إقتراحية لذلك إذا لا يشمل كل شيء، فانه على الأقل شامل. ولان مجاميع العلماء من الثقافات السياسية المختلفة يمكن أن يستوعبوا بشكل جوهري الخطوط العريضة لهذا المنهج، فانهم يمكن أن يستطيعوا بشكل ناجح أن يطبقوا إرشاداته إلى دول عديدة بضمنها يوغسلافيا السابقة، هنكاريا، والبلطيق، وبولندا أو جمهورية الجيك. طالما جهود البحث المشتركة عابرة القومية تحتاج بعض الاشتراك في الفكرة، والطريقة، والطلبات الشعبية (المدخلات)، والقرارات

[1] Henk Dekker, Workshop Excellent University Project, op.cit.

الصادرة من الحكومة (المخرجات)، وما شابه ذلك، فأن إطار الثقافة السياسية له فائدة عظيمة [1].

فضلا عن ما تقدم، طرح علماء السياسة في الغرب، وذلك في سعيهم نحو فهم أشمل وأعمق لنظم الحكم في مختلف بلدان العالم، عدداً من المداخل من بينها الثقافة السياسية الذي يحاول، بشكل منظم، استخدام مقولات ورؤى علم النفس الاجتماعي في الدراسات السياسية المقارنة. ففي الخمسينات من القرن العشرين، اعترف دارسو السياسة بقصور الأطر البنيوية في تحليل النظم السياسية، وألحوا على ضرورة أخذ البيئة الثقافية للأبنية السياسية في الاعتبار. فمثلاً يذكر (جابرئيل الموند) [2] هناك أهمية أخذ القيم والتصورات والاتجاهات السياسية للجماهير في الحسبان عند تحليل ظواهر السياسة وأنظمة الحكم، فقضايا التنمية والاستقرار السياسي والمشاركة السياسية والتجنيد السياسي والكفاءة الإدارية وانتقال السلطة وبناء المؤسسات والتكامل السياسي والتعاون العربي يصعب تناولها بصورة علمية جادة بعيداً عن الثقافة السياسية السائدة في الوطن العربي [3].

أما فرضية الدراسة، فأنها تقوم على أن التوجهات والسلوكيات السياسية تأتي من الثقافة العامة السياسية التي نشأ عليها الفرد والجماعة والمجتمعات. عليه فأن الاختلافات في التوجهات والسلوكيات السياسية قد يمكن تفسيرها إذا ما نظرنا إلى الاختلافات في أنواع وخصائص الثقافات العامة السياسية.

ومن أجل اختبار فرضية الدراسة، فسيتم تفحص ثلاثة تصنيفات من المتغيرات: النظامية، والفردية، والتنشئة الاجتماعية السياسية. (المتغيرات التابعة والمستقلة التي ستختبر وتعريفاتها (المفاهيم) ومؤشراتها (العمليات) (المتغيرات التوضيحية) [4]. فدراستنا تتطلب دراستنا اختبار التوجهات والسلوكيات الاجتماعية ذات الأبعاد السياسية (مثل تبني وجهات نظر الآخرين، والتسامح، والثقة، والمساواة، والاعتراف بالآخرين، والإيثار، والمساندة الاجتماعية). (المتغيرات التابعة/مستقلة/المتغيرات الفردية)، واختبار هيئات التنشئة

---

[1] Russell F. Farnen, Democracies in Transition- Political Culture and Socialzation Transformed in East and West: What Have We Learned? What Can We Do? , in: Russell F. Farnen et al, Democracies in Transition: Political Culture and Socialization Transformed in West and East, Bibliotheks-und Informationssystem der Universitat Oldenburg, 2000. p.521.

[2] د. كمال المنوفي, "منظور الثقافة السياسية والنظم السياسية العربية" المستقبل العربي، العدد (47)، كانون الثاني (يناير)، 1983, ص 42.

[3] المصدر السابق, ص 51

[4] Henk Dekker, Democratic Citizen Competence: Political-Psychological and Political Socialization Research Perspectives, in: Russell F. Farnen, et al, Democracy, Socialization And Conflicting Loyalties in East and West, op.cit., 1996, pp.394-401.

الاجتماعية السياسية ومحتويات وتصميم رسائلها (هياكل التنشئة) والطريقة التي فيها هذه الرسائل تستقبل، وكيف يعالجها الأفراد (عمليات التنشئة) [1]. الهيئات التي ستختبر هنا هي الهيئات الأولية كالأسرة، والهيئات الثانوية كالدين، والنظام السياسي.

فضلا عن ما تقدم، تتأثر الثقافة العامة السياسية بالمقابل بالأنظمة الفرعية المسيطرة للمجتمع والنخب السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية [2] لذلك سيتم اختبار متغيرات من مثل العرق، والسن، والجنس، والشخصية، وحجم الأسرة، والتجارب الشخصية، والأحداث التاريخية، والوضع الاقتصادي الاجتماعي، والوضع الجغرافي الاجتماعي، والحراك الاجتماعي (المتغيرات الشخصية)، والنظاميين السياسيين الداخلي والخارجي (متغيرات النظام) وما إلى ذلك التي قد يختبر البعض منها أيضا. فضلا عن ما تقدم، سيتم اختبار متغيرات التنشئة (المتغيرات المستقلة) [3]. وتتضمن هذه، بين اشياء اخرى، ممارسات وتجارب الفرد مع انماط التنشئة مثل التجارب المشاركة أو عدمها بواسطة هيئات التنشئة وما إلى ذلك.

أما على مستوى تعريفات هذه المتغيرات (المفاهيم)، فدراستنا تحاول أن تجاوب، من بين أسئلة اخرى، على الأسئلة التالية:

ما هي الثقافة العامة السياسية؟

ما هي التوجهات والسلوكيات السياسية؟

ما هي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأولية والثانوية وتعريفاتها؟

ما هي العوامل المؤثرة في الثقافة العامة السياسية وتعريفاتها؟

ما هي علاقة الثقافة العامة السياسية ببعض هذه المتغيرات؟

أما فيما يتعلق بسكان البحث وإستراتيجية العينة (منهجية البحث وجمع البيانات/التحليل)، فأن دراستنا هي نظرية وتحليلية، بالدرجة الأولى، لدراسات نظرية وتحليلية عديدة استندت بدورها إلى العديد من الدراسات الميدانية والدراسات الكمية. أما فيما يتعلق بطرق جمع البيانات ومعالجتها، فيمكن القول صحيح أن دراستنا نظرية وتحليلية ولكنها تقوم على جمع وتصنيف وتحليل معظم ما كتب نظريا وتطبيقياً في أدبيات الثقافة العامة السياسية. فضلا

---

[1] Ibid., p.398.

[2] Henk Dekker, Democratic Citizen Competence: Political-Psychological and Political Socialization Research Perspectives, in: Russell F. Farnen, et al, Democracy, Socialization And Conflicting Loyalties in East and West, op.cit., 1996, pp.394-401.

[3] Ibid, pp.397-398.

عن أنها تستند على منهج جمع المعلومات وتحليلها ومقارنتها عن طريق الملاحظة بالمشاركة وبالاستناد إلى الأدبيات في هذا النوع من الدراسات.

لاشك في أن كل دراسة تواجه صعوبات، ومن بين الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة هي أن هذه الدراسة تُعد أصلا من بين الدراسات الصعبة؛ كونها من الدراسات التي تجمع بين أكثر من علم وتخصص، لذلك تطلبت من الباحث جهدا مضاعفا، وقلة الكتابات والبحوث العربية التي تتناول موضوع الثقافة العامة السياسية مما تطلب جهود مضاعفة في البحث والتحري عن المصادر الأجنبية والقيام بترجمتها شخصيا. بمعنى آخر أن الباحث سبر أغوار دارسات غير مطروقة، على الأقل بشكل واسع ومفصل وواضح.

كما صادف أن تم إنجاز هذا الجهد العلمي في فترة تاريخية عصيبة في تاريخ العراق مما ترك تأثيرا متناقضا على المؤلف أحدهما إيجابيا والثاني سلبياً، إلا أن توفيق الله سبحانه وتعالى، والإرادة والرغبة الشديدة في الكتابة في مثل هذا الموضوع للإجابة على أسئلة تقلق وثير اهتمام الباحث في المحيط الذي يعيش فيه، والإخلاص والجدية في البحث العلمي النافع، والتفرغ المطلق للدراسة، والاعتزال كلياً للدراسة، والاستفادة القصوى من الوقت، وإطلاع الباحث على أدبيات الثقافة العامة السياسية بشكل عام، والكتابة فيها منذ العام 1998، وقيامه بالقراءة وجمع المصادر الدراسية في مثل هذه الموضوع والمواضيع ذات الصلة منذ بداية العام 2000، وقيامه شخصيا بالطباعة وسحب المطبوع والترجمة واستخدام التفريغ الآلي الالكتروني المباشر في تفريغ المعلومات بكفاية عالية، عوامل ذللت العديد من تلك الصعوبات، وشجعت على بذل أقصى الجهود، وتحمل المتاعب والمعاناة في سبيل إنجاز هذه الدراسة للإسهام في خدمة الإنسان. مع ذلك فإن ما تقدم قد يكون خطوة متواضعة يؤمل أن تعزز وتطور من قبل كتاب آخرين.